شعر أبي العتاهية بين الدال والمدلول (دراسة بنيوية)

م. كرار عبد الاله عبد الكاظم
المديرية العامة للتربية في النجف الأشرف
وزارة التربية

استلام البحث
2026/7/11م

قبول النشر
2026/9/20م

الكلمات المفتاحية: البنيوية ، الدال والمدلول ، الاعتباطية

الملخص:

جاءت فكرة الدال والمدلول من البنيوية التي تعمل على ايجاد تفسير يتناول العلاقة الرابطة بين الكلمات والأفكار خارج السياق العام ، و يُشكّل الدال والمدلول دائرة معرفية تُفضي الى المعنى من خلال بوابة التجربة الذاتية التي تتولد عند الشاعر من الاعتياد على الأدب والولوج الى ميادينه ، ولا تعدو القصيدة أن تكون الخلاصة الفكرية المتوقدة لذهن الشاعر ، فجدلية الدال والمدلول تكون أكثر قوة وتأثير في المتلقي حينما يكون تعبير الشاعر أكثر فاعلية في الأسلوب، وديوان أبي العتاهية غني بالثنائيات الضدية التي تغري القارئ في التغلغل في منظومته الأدبية من أجل تيسير بعض المعاني المنتظمة في شعره.

المقدمة :

اشتمل البحث عنوان (**شعر أبي العتاهية بين الدال والمدلول (دراسة بنيوية))** ، ولم يقتصر الموضوع على اختيار قصيدة واحدة يمكن الاعتماد عليها في تغطية مفاصل البحث ؛ وذلك للوقوف على بعض البُنى التي لا يمكن للقارئ التجاوز عنها دون المرور ولو لحظياً بجانبها هذا من جهة. ومن جهة أخرى تمهّد هذه الدراسة المقتضبة الطريق للباحثين في الاندماج الى شعر أبي العتاهية ، وعبر مشاريع بحثية كرسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه تقف على بنى ومدلولات الشاعر التي اكتنز بها شعره ، ومن الدراسات البنيوية في العصر العباسي دراسة (بنيوية وتكوينية شعر أبي تمام) للطالبة ايناس كاظم ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية ، للسنة الدراسية 2017 م ، واشتمل البحث على مقدمة وتمهيد

ومطلبين يتناول المطلب الاول : الدال والمدلول وما مدى الاعتباطية بينهما وفقاً لتصورات الباحثين في هذا الميدان ، أما المطلب الثاني : تناول طريقة تحليل للأبيات الشعرية التي تتوافق مع المفهومات المختارة (العناوين) ، ومن ثم خلاصة بالنتائج التي توصل اليها البحث ، وثبت بالمصادر والمراجع .

1- أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في أنّ النصوص الشعرية لأبي العتاهية تكشف عن تجليات واسعة للارتباط بين الدال والمدلول؛ إذ تُظهر البنية اللغوية للشاعر قدرة على تجاوز المباشرة إلى ميادين ومؤشرات رمزية ودلالية تتجسد من خلال محور العلاقات الداخلية للنص .

2- الهدف من البحث :

يهدف البحث الى دراسة تجليات الدال والمدلول في شعر أبي العتاهية وفق المنهج البنيوي ؛ كونه يمنحنا قدرة الوقوف على البعد الجمالي والفكري التي تشكل خصوصية تجربته الشعرية، وتفتح مجالًا لقراءة جديدة لا تنحصر في حدود المؤلف أو التاريخ، بل تنبع من النص ذاته.

3- مشكلة البحث :

تتجاوز مشكلة البحث الخوض في تاريخ البنيوية بوصفها منهجاً نقدياً يهتم بدراسة النصوص بالاعتماد على شبكة العلاقات المترابطة في النص ، والاقتصار على التعريف بالبنيوية ، والدال والمدلول ، والاعتباطية ، وهذه الأخيرة تندرج داخل التحليل البنيوي ، فالأمثلة التطبيقية من شعر أبي العتاهية ، قد اقتصرت على دراسة الدال والمدلول فيها .

توطئة:

تنماز العلاقة بين الدال والمدلول سواء عند العرب أو الغربين قدماء أو محدثين بالثراء الفكري ، والذي يغلب عليه كثرة الأطروحات والمفاهيم في هذا الخصوص ، حيث يغري التنوع المعرفي الباحثين للولوج اليه ، فمن وجهة النظر البنيوية أن الانسان لا يمتلك أي دور ابداعي بل يُنظر اليه بوصفه ، **نسقاً من العلاقات والترابطات التي تعكسه ، وبهذا المعنى ، فان البنيوية تبتلع الانسان أو تقوده الى الانحلال (فوكو) دون النظر اليه بوصفه كائناً مبدعاً بوصفه موجوداً اجتماعياً ذاتاً للتاريخ** ، (ساخروفا ، ترجمة : برقاوي ، د.أحمد ، 1983 : ص 168) ، وبهذا المعنى فإن البنيوية تبتعد بالإنسان أو الذات المبدعة عن المركزية، لتُحيله إلى بنية نصية مستقلة لا تتيح للسياق الخارجي هيمنةً على النص ، ومن هنا جاءت الرؤية البنيوية للعلاقة بين الدال والمدلول بوصفها كيانًا لغويًا متماسكًا يحمل وحدته الداخلية، ويؤسس دلالاته عبر ما يتيحه النسيج النصي ذاته بمعزل عن الذات المبدعة ، فالرؤية البنيوية للدال والمدلول تحتكم

الى النص بذاته ؛ كونه وحدة مستقلة لا تتبع من السياق الخارجي في ايجاد مقصدية ترتبط مع الذات الشاعرة ، وتضع سلطتها على النص بعيداً عن مؤلفه.

وإذا أردنا أن نطبّق هذا على شعر أبي العتاهية،

المطلب الأول : مفهوم البنيويّة ، الدال والمدلول ، الاعتباطية :

1-مفهوم البنيوية:

البنيوية في مفهومها الواسع، تقوم بدراسة ظواهر مختلفة، كالمجتمعات والعقول واللغات والآداب، فتنظر لكل ظاهرة من هذه الظواهر، بوصفها نظامًا متكاملاً، بمعنى آخر بوصفها (بنية)، فتدرس من حيث نسق ترابطها الداخلي، كما تُعنى بدراسة الكيفية التي تؤثّر بها بنى هذه الكيانات على طريقة قياسها بوظائفها ، ولذا يمكن تعريفها، بأنّها: **مجموعة من الأجزاء المرتبطة معًا** ، (جاكسون ليونارد، 2014 م ، ص 50) ، ولذا في مفهومها المألوف البنيوية، هي محاولة لإيجاد نموذج لكلّ بنية من هذه الظواهر ووظيفتها على غرار النموذج البنيوي للغة، وهو النموذج الذي وضعته الألسنية في بدايات القرن العشرين.

ويعرّفها ترنس هوكز، بأنها: ، **طريقة التفكير بالعالم المعني بإدراك البنى وبوصفها اهتماما متطورا للمفكرين المحدثين منذ فيكو، فهي نتاج النقلة التاريخية الحاسمة في طبيعة الإدراك في مطلع العشرين في ميدان العلوم الطبيعية بشكل خاص** ، (هوكز ، 1986 م : ص 14) ، ثم حدث الازدهار وبعد معرفة البنيوية في علم اللغة الى استنباط عن ركائز الأسلوب في الأدب ، فكانت البنيويّة بمعنى (النَّسق) أو (المنظومة) ومن أطلق تلك التسمية ، هو (سوسير) ، فالبنيويّة ، هي نموذج استعير من (علم اللغة) ، ويمكن القول : إنّ البنيوية ، هي مجموعة من الاختلافات التي ترجّح الى تمظهر البنيوية الى أشكال متنوعة جديدة .

2-الدال والمدلول :

ترتبط العلاقة بين الدال والمدلول بعناصر ذهنية تتولّد في الذهن من خلال السياق الذي ترد فيه الكلمة من جهة ، ومن جهة أخرى ارتباطها بشبكة من العلاقات المتعددة ، فالمفردة تحفّز العقل نحو صور ذهنية تُعبرُ عن ماهية ما ، وتختلف تلك الصور بين فرد وآخر ؛ نظراً لاختلاف الفهم والادراك وكذلك الوسط الثقافي والاجتماعي والديني الذي ترد في سياقه هذه الكلمة أو تلك داخل النص ، و لا تعتمد على بنية خارج النص .

والحديث عن الدال والمدلول ضمن صيرورته التاريخية له دور ريادي عند (دي سوسير) ، ضمن نظرته اليهما في تفريقه بين اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية والكلام على اعتبار أنه ظاهرة فردية ، فالدليل اللّساني لـ دي سوسير هو ، صورة ذهنية تتشكّل من دال ومدلول ، اذ انَّ الدال هو

صورة صوتية ، وهي تلك الملفوظات المنطوقة صوتياً ، أمَّا المدلول فهو صورة ذهنية ، أي : ما يتصوره العقل ، وهذا التخيل ندرج فيه كل الأشياء المادية والمعنوية ونسميه المرجع أو المدلول عليه ، (السامرائي ، 1971 م ، ص 46) ، أي ان الدال يرتبط بشبكة من العلاقات التي تجسد بنية كلية لمدلولات داخلية في النص ، فالدال يقودنا الى مدلولات بنيوية داخل النص بوصفه مجموعة من العلامات المحايثة ، والتي يصل اليها المتلقي عن طريق عقلنة عُرفية اصطلح عليها المجتمع الذي صاغ الاديب فيه نصه الابداعي .

وإنّ ، الصورة الذهنية هي المرجع أو الشيء المدلول عليه ، أو الماهية في العالم الخارجي والرابط بينهما في تحصيل الدلالة هو الفكرة المقصودة التي تحيل العقل الى معرفة هوية الشيء المقصود باللفظ بذاته دون انزياح الى شيء آخر موجود في الخارج ، (نهر ، د . هادي ، 2007 م ، ص209) ، أي أنّ الدال يحيل الى معنى محدد لا ينزاح عن دلالته الحقيقية من خلال تواضع يستند عليه العقل في ترجمة ماهيات الأشياء الى أفكار أو مفاهيم معروفة .

اذ ان الصورة الصوتية المحسوسة التي تستدعي الى ذهن السامع صورةً ذهنية ، أو فكرةً ، أو مفهوماً وهو (المدلول) وكلاهما – الدال والمدلول – ذو طبيعة سايكولوجية يتّحدان في دماغ الانسان بآصرة التداعي (الايحاء) ، (السامرائي ، 1971 م ، 25) ، فنظرة دي سوسير الى الدال والمدلول تتجاوز اللفظ والمعنى الى أبعاد أخرى ، فمثلاً كلمة (وردة) هي الدال ومكوناتها الشكلية (غصن – أوراق – سيقان) هي المدلول ، أما الرائحة لها رمزية معبرة ، واللّون له علامة أيضاً وهلمَّ من المدلولات الأخرى ، فالعلامة اجمالاً ذات علاقة اعتباطية بالشيء المسمّى غير أنّ هذا الربط يمكن أن يكون اعتباطياً اذا أردنا أن نشير الى أنَّ السمة المفهومية للمدلول لا تُبرّرها سمةُ الدال الصوتية أو الخطية أو الاشارية ، ولكننا نذّكر فقط بأنّ الدال والمدلول غير متجانسين ، اذ ينتميان الى نظامين مُختلفين ، وليسا مترابطين تمام الترابط ، (الحباشة ، 2013 م : ص24 – 25) ، وهنا تكون الاعتباطية بين الدال والمدلول غير متوافقة بل انها مختلفة ، حيث ان الدال يختلف عن المسمّى المدلول بعلاماته الاشارية ، ويذهب بياجيه الى أنّ اللغة ، مؤسسة جماعية ذات قواعد تفرض نفسها على الأفراد وتتناقل بطريقة جَبرية من جيل الى آخر منذ أن كان الناس ، تشتف أشكالها الخاصة من أشكال سابقة تنحدر هي نفسها من أشكال أكثر بدائية ، (بياجيه ، 1985 م : 63) ، فكل مفردة تدلُّ على مفهوم يتمُّ به معناها قد تواضع على معرفته الناس ضمن أُطر معرفية تتشكّل كقانون لا يمكن الانحراف عنه أو كسر قواعده ، و دي سوسير يرى أنّ الاشارة ذات طبيعة اعتباطية وعلى أنّها تعتمد على التواطؤ العرفي ، ولهذا فان معرفة الاشارة لا تتم من خلال خصائصها الأساسية ، وانما يتمُّ ذلك من خلال تمايزها باختلافها عن سواها من

الاشارات ، (الغذامي ، 1998 م : ص32) ، أي أنَّ العلامة أو الاشارة تعتمد بشكل أساسي على العلاقات العرفانية ، وان ما تتميز به في البنيوية على سواها هو أنّها تكون مختلفة بمعنى وجود اللون الأسود يستدعي الى الأذهان استحضار اللون الأبيض وهكذا في بقية العلامات داخل النص .

3 - الاعتباطية :

نظراً الى تعدد الآراء في هذا الاتجاه بين اللفظ (الدال) والمسمّى المدلول هناك بعض الأطروحات التي تنظر الى الاعتباطية بينهما ، ومن هنا يقف البحث على رأيين منفصلين عن الاعتباطية هما :

الأول : هناك من يرى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ، وبموجب هذا الرأي تكون هناك علاقة ثابتة بين الدال والمدلول أي أن كل لفظة لها معنى واحد فقط ، وهذا الرأي عند غير العرب ومنهم أفلاطون أما من العرب ،فنجد عباد بن سليمان الصيمري ، وفي ذلك رفض للمشترك اللفظي والتضاد والترادف ، وهذا التواضع هو الذي حمل الواضع الى تسمية اللفظ بمسمّاه دون غيره ، (نهر ، 2007 م : ص196) .

الرأي الثاني : يذهب الى عدم وجود أي علاقة طبيعية بين الدال والمدلول ، فالعلاقة قائمة بالاصطلاح أي مكتسبة ، وان دلالة اللّفظ المعين على المسمّى المعين غير طبيعية بل انّها ، تتحدد هذه الدلالة بالاصطلاح والتعارف الذي يحكمه تقادم الزمن ، فيرسّخه في أذهان الناس بحيث يبدو اللفظ المعين جزءاً من المسمّى المعين في عالم المسميّات ، بل يصير اللفظ هو الشيء نفسه ، فلا يمكن بعد ذلك زحزحة اللفظ في دلالته على المسمّى ، (نهر ، 2007 م : ص 199) ، فصورة الدال تعبرُ عن صورة المدلول في الذهن وفقاً للعرف السائد اجتماعياً .

إنّ طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول ترتبط بوثاق ضروري غير اعتباطي ، وحينما يكونان حاضرين في الذهن تأتي الاعتباطية ملازمة بينهما وبين الأشياء الخارجية ، وبما أنّ العلامة ، هي الوحدة اللغوية الصغرى وبما أن اللغة هي عرف اجتماعي وجب أن تكون العلامة عرفية أي أنّها تمتاز بالعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول ، فالعلامة اعتباطية بمعنى أنّها لا ترتبط بدافع ، أي أنّها اعتباطية لأنها ليس لها صلة طبيعية بالمدلول ، (اسكندر ، 2008 م : 26) ، حيث يكون الرابط بين الدال والمدلول هو العرف الاجتماعي الضابط بينهما ، و يمكن ، لتاريخ كلمة ما أن يكون تسلسلاً لتغييرات في المعاني ، دون أي رابط بينها سوى ضرورة الجواب على حاجات تعبيرية للأنظمة المتزامنة المتتالية ، حيث تشكل الكلمة جزءاً منها ، (بياجيه ، 1985 م : ص 66) ، وبما أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية نجدها تعمل على ايجاد حلول آنية للتعبيرات الملحة في المجتمع ، وهذا

انّ دلّ على شيء فانه يدلُّ على نسبية الاعتباطية بين الدال والمدلول ، وليس الاعتباطية المطلقة بينهما ، وسوسير يذهب الى أنّه ، ليس هناك سبب جوهري يفسّر لنا لماذا كان أحد الدوال أحرى من غيره من الدوال أن يرتبط بالصورة الذهنية أي المدلول ، (سوسير ، 2000 م : ص 15) ، للصقر على سبيل المثال ، فمن الممكن أن تكون له كلمة أخرى مثل قدم أو ساق ، تدلُّ على تلك الصورة الذهنية للصقر ، وان العلاقة العرفية هي الحاكمة في الدال والمدلول ، وعلى الرغم من قوة العلاقة بين الدال والمدلول الا أن الغرابة موجودة بينهما على شيء من المفارقة بين الشكل الصوتي للكلمة ومعناها ، أي ان العلاقة بين ، الشكل الصوتي والمعنى علاقة صدفية (اعتباطية) في معظم الحالات ، (الجرجاني ، 2010 م : ص 255) ، وان المدلول مرتبط بالواقع هو الذي يثر انتباه المتلقي الى المعنى الجاد الذي يطلبه الشاعر .

من هنا نجد أنّ العلاقة الاعتباطية بين الاثنين (الدال والمدلول) اعتباطية غير سببية ، وتنشأ منها علاقة عكسية ، اذ قد نجد أن الدال له مدلولات عديدة تنشط في ذهن المتلقي ، وقد يكون الدال متعدد الى أكثر من دال واحد الا أنّ المدلول له صورة واحدة في المعنى .

المطلب الثاني : الجانب التطبيقي

يتناول الجانب التطبيقي من شعر أبي العتاهية الوقوف على أبرز معالم الدال والمدلول في ثنايا قصائده الشعرية ، وقد حفل شعره بالكثير من تلك الثنائيات التي تطرز شعره بها .

ومن قوله : أبي العتاهية ، 1986 ، 11 .

الخيرُوالشّرُّعاداتٌ وأهواءُ وقد يكون من الأحباب أعداءُ

تمثِّل الثنائيات الضدية في البيت الشعري (الخير / الشر ، الاحباب / أعداء) الصراع الأزلي بين الخير والشر في هذا العالم ، فنجدها تفتح منافذ متجددة لتقديم صور مترابطة تنبع من شعرية جديدة تستمرُّ في علاقاتها نحو الاختراق والاكتشاف باستحضار امكانات الشاعر الابداعية والتخيلية ، اسماعيل خليل وعمر محمد ، 2026 ، 530 ، فالمؤثر الرئيس في اكساب الفرد مصارع الخير وبالعكس تغذيه مصارع الشر ، وهذا الأخير دالٌ جامعٌ لدلالات مفتوحة كالظلم والأذى وما يتركه من ضرر فعلاً أو قولاً ، اذا ، فالتنشئة قائمة على خلق عدو انحرف بسبب نزوات تدفع به الى تعضيد سلوك مضاد ، والعادات هي دالٌ يُشكّلُ الحضور لغياب الفطرة السليمة التي تسبب الانحراف نحو خرق قيم الخير والالتفاف حول نزوات تفتح مغاليق الشرِّ اذ لم يسيطر عليها الانسان في حياته .

ففي هذا البيت يبدو أنّ الدال " الخير" مفتاحًا لمعنى يتجاوز المباشرة المعجمية للكلمة ؛ إذ يتحول إلى مدلول وجودي يمنح الحياة معناها رغم ضيقها ، ومن خلال البنية النصية يتجلى

التوتر بين "اتساع هوة الشر"، و"فسحة عمل الخير"، لتنشأ دلالة أعمق تتجاوز حدود التجربة الفردية إلى رؤية إنسانية شاملة.

وقوله من الطويل : أبي العتاهية ، 1986 ، **11** .

لكُلِّ داءٍ دواءٌ عندَ عالمِهِ مَنْ لم يكن عالماً لم يدرِ ما الداءُ

يجمع الشاعر بين الدال والمدلول (داء / دواء) عبر صورة تسير حكم الأمثال بين الناس ، حيث انّ اللفظ الدال لكلمة (داء) تتجاوز الحالة المعنوية للمسمى المرض الذي يصيب الانسان الى صور ودلالات متعددة ، مما يستدعي الشاعر لفظة الداء حتى تكون جامعة لكل ما يصيب الانسان من مرض ، فقر ، حزن ، فقد ، فالداء صورة معنوية تحمل في دلالاتها كُلُّ ما يصيب الانسان من ضرٍ وأذى مادي أو معنوي ، فأمامه يجد الحل والشفاء لما حلَّ به عند من فهم الدواء ، وتعلَّم في الحياة ايجاد الحلول لمشاكل غيره بالفهم والخبرة .

ومنه أيضاً قوله : أبي العتاهية ، 1986 ، **11** .

الحمدُ لله يقضي ما يشاءُ ، ولا يُقضَى عليه ، وما للخلقِ ما شاءوا

لم يُخلَق الخلقُ الا لفناءُ معاً ، تَفْنى وتَبقَى أحاديـــثٌ وأسماءُ

ويؤكد الشاعر أنّ الدال (الخلق) في حالة غياب عن هذه الدنيا، وأنّ (الموت) هو المدلول الذي يشكل حالة الحضور، ولذا يكون استعداد الانسان لحالة الحضور ليس في الحياة الدنيا بوصفها دالاً على الغياب كونها فانية ، وتنذر بالزوال إلّا أن يذهب للفناء ومعه من العمل الصالح ما يصلح به حاله في حالة الحضور عند الموت.

إنّ الدال عند الشاعر أبي العتاهية لا يقف عند حدود اللفظ الظاهر، بل يتشعّب في شبكة من العلاقات الرمزيّة التي تكشف عن قلق الوجود الإنساني. فحين يقول (داء، دواء)، فهو لا يتحدّث عن عارض جسدي فحسب، بل يفتح غايات دلاليًا متّسعًا يتجاوز المعنى الطبيّ إلى معنى وجودي؛ إذ يتحوّل "الداء" إلى رمز للحياة بما فيها من آفات روحية وأخلاقيّة، بينما يتجسّد "الدواء" في صورة الفضيلة والعمل الصالح الذي يخلّص الإنسان من علله الباطنية.

ومن هنا تتضح البنيّة العميقة في شعره، حيث يُنازل الدال والمدلول في حقل من الثنائيّات المثيلة: (الحياة - الموت، الحضور- الغياب، الفناء- الخلود). وهذه الثنائيّات ليست مجرد معانٍ شعريّة فحسب، وإنّما هي أسلوب دلاليّ يكوّن البنية الكليّة للنصّ، ويعكس رؤية الشاعر للوجود. فالمنهج البنيوي يقوم بالكشف عن هذه البنية، باعتبار النصّ منظومة من العلاقات المزدحمة، لا مجرّد مفردات منفصلة. وبذلك يصبح شعر أبي العتاهية ميثاق دلالي يبرز وعي الإنسان بمحدوديّته، وسعيه إلى تجاوزها عبر التعلّق بالمطلق، أي بالله تعالى والعمل الصالح.

فالموت تتعدد رؤيته في الحضور بوصفه حياة أخرى، فمرَّةً نذيرًا يحمل الإنسان على الخوف مما بعد الموت، وأخرى يأتي إيذانًا بحياة جديدة تنتظره هي الأخرى ، و كما في قوله : أبي العتاهية ، 1986 : 23

يا بانيَ الدّارِ المُعِدَّ لَها مَاذا عَمِلتَ لدارك الأخرى؟
ومُمَهِدَ الفُرُشِ الوَثِيرَةِ لا تَغْفُل فراشَ الرّقدةِ الكُبرى

إنّ تكرار لفظة الدار بوصفها دالاً يعبرُ عن مرحلتين يمُرَّ بهما الأنسان ، فالدارُ الأولى هي الفانية ومصيرُها الزوال ، ومن غير الضروري أن تكون حاضرة في أولويات الفرد في الاعتناء والاهتمام لتزيين زخارفها؛ كونها تُمثلُ دلالة الغياب ، ومن غير المنطقي تهيئة رفاهيتها أي الحياة الدنيا من فُرُش لينة وعيش هانئ ، والغفلة عن الدار الآخرة بحمل المعاصي التي تثقل كاهل الانسان بالذنوب.

وفي الموت قوله : أبي العتاهية ، 1986 : 43

أيُّها ذا الناسُ ما حَلّ بكمْ ؟ عجباً من سهوكم كُلُّ العجَبْ
وسَقامٌ ثمّ موتٌ نازِلٌ ، ثُمَّ قبرٌ ونزُولٌ وجَلَبْ
وحسابٌ ، وكتابٌ حافظٌ ، ومَوازِيــنٌ ، ونـارٌ تُلتَهَـبْ
وصِراطٌ من يقَع عن حَدِّهِ ، فـالى خِزْيٍ طَويـلٍ ونَصَـبْ
حَسبِي اللهُ الَهاً عادِلاً ؛ لا لَعَمْرُاللهِ مـــا ذا بِلَعِـبْ

يفتتح الشاعر نصَّهُ الأدبي بأسلوب يثير تنبيه المتلقي عبر النداء (أيها) ، دالاً على قضية مركزية محورها الذات العاقلة بوصفها مدلول تغيّب عن الحقيقة في جُبِّ السهو ، فيُمسك الشاعر بالمنادى / الناس عبر الاشارةِ اليهم بـ(ذا) ، حتى يُلزِم التفاتهم الى ما هان عليهم من حقيقة مُرّة غابت عن الجميع ، فيُطلق الاستفهام قرعاً لتلك الآذان الصُمَّ من السمع والعقول المُنكفئة عن الفهم بقوله : (ما حَلَّ بكُمْ) ، ثُمَّ يأخُذ المتلقي عبر مدلولات أُفقي تتقابل فيه كُلُّ الحواس تعبيراً بالمصير المؤلم لمراحل الانسان متناسياً حقيقة العبادة التي خُلقَ من أجلها ، فدوال (سقام – موت – قبر – نزول – جَلَبْ – حساب – كتابٌ حافظٌ – موازين – نارٌ تُلتَهَب – صراط خزي – نَصب) ، هي النهاية التي يجب أن ينظر اليها الفرد قبل بلوغه حالة الغلق المُطبق عليه .

الاستفهام التعجبي في النص من قبل الشاعر الى استنفار القوى الحسية عند من يسهو عن ثلاثية تحدد مصير البشر ، عبره متوالية رياضية ، ومنه قوله : أبي العتاهية ، 1986 : 121

دَعْني من ذِكـرِ أبٍ وجَدٍّ ونَسَبٍ يُعليكَ سُورَ المَجْدِ

ما الفخرُ الاّ في التّقى والزّهْدِ وطاعةٍ تُعْطي جِنَانَ الخُلْدِ

لا بُـدّ مِــن وِرْدٍ لأهلِ الوِرْدِ اما الى خَجلٍ ، وامّا عدِّ

ينقل الابتداء بفعل الأمر (دعني) الى ضرورة الزامية تهيئ المتلقي نحو اسلوب فخر يخالف المألوف لدى الناس في هذه الحياة الدنيا ،

فالفخر بالدين هو غاية الفخر التي يرتقي اليها الانسان في أسمى جوازات حياته ، ثُمّ ان الشاعر أزاح الفخر القبلي من مراتبه التي يسمو بها العربي في تاريخه المعرق ، موجهاً الانظار نحو الغاية من العبادة الى الجنة

فالغاية الرئيسة من تحويل الدال / شخصنة الفخر عند الشاعر الى مدلول يتناغم مع قصدية الفخر بالدين الاسلامي الذي ساوى بين الجميع ، هو أنَّ الشاعر تخطى الفخر الشخصي والقبلي الى الفخر بالزّهدِ والطاعة ، حيث تبارى الى مدلول يقِف صلباً أمام

فالشاعر انتصر لنفسه بفعل الأمر (دعني) متخطيًا المعاناة والاضطراب بسبب ضعة النسب الى الدين بوصفه تعويض اعتباطي يسدُّ به النقص الحاصل بطبيعة الوجود .

فالبنية الراسخة في هذا النص تبيّن عن انتقال الدال الشعري من فضاء ضيق إلى آخر أرحب، ف"دَعني" لا يبقى مجرد نداء، بل يتحوّل إلى عُلوّ دلالي مفتوح، تتناسل منه معانٍ متعدّدة ترتبط كلّها بمحور واحد، وهو إعلاء قيمة الدين والزهد على الفخر القبلي الزائل. وهنا يتجلّى البعد البنيوي للنص؛ إذ يُعيد أبو العتاهية صياغة العلاقة بين الدال والمدلول ضمن ثنائية ضدية (زائل-باقٍ)، (دنيوي-أخروي)، (قبلي-ديني).

كما أنّ حضور ألفاظ مثل "التقوى" و"الطاعة" و"الجنان" يعكس آفاقًا من الدوال المتجاوبة، تتساند لبناء مدلول مركزي هو (الخلاص الروحي) الذي لا يتحقق إلا بقطع الصلة بمصادر الفخر الموروث (النسب، المال، المجد الدنيوي). وبذلك يُعيد النص صياغة مفهوم الفخر، لا كاستعلاء على الآخرين، بل كانتصار على الذات ونقائصها الوجودية.

ومن هذا المنطلق تبدو بنية النص قائمة على جدلية الفناء والبقاء، وهو ما يجعل شعر أبي العتاهية نصًا بنيويًا بامتياز، حيث تتحرك الدوال لا في فراغ، وإنما في محور من العلاقات التي تبرز موقف الشاعر من الوجود والعدم.

وفي قوله أيضاً : أبي العتاهية ، 1986 : 121

إني لأكرَهُ أن يكو نَ لفاجِرٍ عِندي يدُ

فتُجَرَّمَحْمَدتي الَيْ هِ ولَيسَ ممَّنْ يُحْمَدُ

أسلوب التوكيد لدى الشاعر رسالة الى المتلقي تعمل على تهيئة ذهنية تستقبل ما يريد الشاعر إيصاله من ضرورة إلى المتلقي، فالدال (يدُ) يرتبط بمدلولات ذهنية تتخطى التصورات البسيطة المنضوية في المعنى المعروف لكلمة (يد) ، فمثلاً منها (يدُ الانسان) ؛ لذلك الشاعر أعاد تموضع الرفض بأسلوب معلن لا يخفى على أحد ، ويُصرّح بقطع جميع تواصله مع كل من يخرج عن طريق الحق ويحيد عنه ، فالشاعر لا يرجو الا المدح والثناء من الناس ، وهو لا يصيبُ منه شيئاً اذا ما اتصل به أحد الفجّار .وفي قوله : أبي العتاهية ، 1986 : 194

رَأيتُك فيما يُخطئُ النّاسُ تَنظُرُ ورَأسُكَ ، من ماءِ الخَطيئةِ يَقطُرُ
تَوارَى بجُدرانِ البُيوتِ عنِ الوَرى وأنتَ بعينِ اللهِ لوكُنْتَ تَشْعُرُ
وتَخشى عُيونَ الناسِ أن يَنظُرُوا بها ولم تُخشَ عينَ اللهِ واللهُ يَنظُرُ
وكَمْ من قَبيحٍ قد كَفى اللهُ شرَّهُ ألا انّهُ يَعفُو القَبيحَ ويَستُرُ

كما تتداخل الدوال في قول الشاعر (رأيتُك ، تنظُرُ ، ورأسُكَ من ماءِ الخَطيئةِ يَقطُرُ) حيث إنّ دلالة الفعل الماضي تقود إلى انخراط أكثرية الناس بالذنوب منذ الأزل ، ودلالة الفعل المضارع (تنظُرُ) هي الاستمرارية عند الشاعر في الوقوع بالخطايا، فيُعبّرُ عن نفسه مجازًا (**ورَأسُكَ، من ماءِ الخَطيئةِ يَقطُرُ**)، أي كناية عن كثرة الذنوب التي حشد بها في حياته، ثُمَّ يغيب الشاعر كذات صارخة بالندم الا أنّها غير قادرة على تخطي الذنوب بين أركان مظلمة لا تغيب عن الذات المُقدسة.

فإنّ شعر أبي العتاهية يكشف في بنيته الداخلية عن حركة متزاحمة للدوال، حيث لا تُفهم الكلمات منفردة، بل بوصفها عناصر في عناصر لغوية متداخلة. فـ"اليد" ليست مجرد عضو جسدي، وإنّما دال يتجاوز معناه المباشر إلى رمز للقدرة الإنسانية على الفعل والتغيير، وهو ما يعكس موقف الشاعر من الإنسان ومسؤوليته أمام الخالق.

وكذلك الحال في الأفعال (ينتظر، يقطر)، فهي دوال تشتغل ضمن نسق زمني دلالي، يرسّخ صورة الفناء البشري، ويضع الإنسان في مواجهة حتمية مع النهاية. وهذا التكرار للحركة الزمنية في النصوص يُبرز أن البناء الشعري عند أبي العتاهية قائم على ثنائية (الوجود، العدم)، حيث تُصبح الدوال مؤشرات وجودية تكشف رقّة الإنسان أمام المصير المحتوم.

وبهذا فإنّ التحليل البنيوي يُظهر أن الدوال (يد، ينتظر، يقطر) تستجيب فيما بينها لتنتج مدلولاً مركزيًا هو "الزوال"، في مقابل مدلولٍ مضاد هو "البقاء" الذي لا يتحقق إلا في العالم الأخروي.

ومن هنا يتجلّى أنّ النص لا يقوم على معنى معزول، بل على تناغمات من العلاقات الدلالية التي تمنح شعر أبي العتاهية طابعه الزهدي والفلسفي.

وفي البخل ينقل الينا الشاعر قوله : أبي العتاهية ، 1986 : 196

إنّ البخيلَ وان أفـادَ غنىً لَتَرَى عَلَيْهِ مَـخايلَ الفَقْـرِ
لَيْسَ الغَنيّ بـكُلّ ذي سَعَةٍ في المالِ لَيسَ بواسعِ الصّدرِ
ما فاتَني خَيرُ أمرئٍ وَضَعَتْ عَنّي يَدَاهُ مَؤونـــةَ الشَكْـرِ

يأخذ الدال (البخيل / غنىً) منحاً متناقضاً في الحرمان من أجل الوصول الى كثرة الأموال التي يحرصُ على اكتنازها ، فالبخيل يعيش حالة الحرمان حتى يظنُّ الجميع أنّه تحت ضعف قلة الحيلة ، وان ثوب الحرمان يفرض على الشخصية انسحابها عن التواصل المادي ، وتوتر الذات تمهيداً لانطوائها عن الناس ليس تواضعاً ، وانما لتلبس قيم تحدُّ من جميع تصرفاته .

ثم تنتقل البنية المفارقة وفقاً لما يخلقه من تناقض بين (الذات – الغني) ، في ثنائية (ذي سعة ، ليس بواسع الصدر) ، فيُحدِث هزَّة ارتدادية عند الغني كلما كثرة أمواله بالتقدم أكثر تراجعت انسانيته ، وانفصل عن دوائرها نحو الانحسار المقيد .

يُبان "البخل" في شعر أبي العتاهية بوصفه دالاً بنيويًا يفتح محاور من العلاقات الدلالية المتقابلة؛ إذ لا يُفهم بمعناه الأخلاقي المباشر فقط، بل باعتباره انطباع وجودي يكشف عن ضيق الإنسان في علاقته بالمال والحياة. فـ"الغني البخيل" ليس ثريًا مطمئنًا، بل فقيرًا بالمعنى الرمزي، لأن المال الذي يُمسَك ولا يُنفَق يتحوّل إلى "قيد" يعزل الذات عن الآخرين، ويُفقدها إنسانيتها ، ولذا يعمل النص على بناء ثنائية ضدية متوترة: (غنى- فقر)، (سعة- ضيق)، (انفتاح- انغلاق). هذه الثنائيات لا تظهر كمعانٍ معزولة، بل كمنظومة متلاطمة تبرز من خلالها البنية العميقة للشعر عند أبي العتاهية ، حيث يتحوّل المال من أداة حياة إلى سبب في "الموت المعنوي".

إنّ التحليل البنيوي لهذا النص يبيّن أن "البخل" ليس مجرد رذيلة، بل دال مركزي يُعيد تنظيم حقل المعاني، ليجعل الغنى المادي معادلاً للفقر الروحي، ويجعل الحرمان؛ نتيجة طبيعية للانفصال عن الآخرين. وهكذا يُعيد النص صياغة العلاقة بين الذات والآخر في ضوء رؤية وجودية شاملة

قال أبي العتاهية في هجاء والبة بن الحباب : أبي العتاهية ، 1986 : 218

نَطَقَتْ بَنو أسَدٍ ولَـم تَجهَرْ وتَكَلّمَتْ خَفياً ولـم تظهَرْ
وأمّا وربّ البيتِ لَـو نَطَقَتْ لَتَرَكْتُها وصَـباحُـها أغْبَرْ

أيَرُومُ شَتْمي منهُمُ رجُـلٌ فـــي وجههِ عِبَرٌ لمَنْ فَكّرْ
و ابـنُ الحَبابِ صَليبةٌ زَعَمُوا ومِـنَ المَحالِ صَليبةٌ أشْقَرْ
ما بـالُ مَنْ آباؤُهُ عَرَبُ الـ ألوانِ يُحسَبُ من بني قَيْصَرْ
أتَرَونَ أهلَ البَدْوِ قد مُسخُوا شُقْراً أمَـــا هذا مِنَ المُنكَرْ

ومنها :

صَرّحْ بـما قدْ قُلتُهُ وَاجهَرْ لابنِ الحبابِ وقُلْ ولا تُحْصَرْ
ما لي رأيتُ أباكَ أسْوَدَ غِرْ بيبَ القـــذالِ كأنّهُ زُرْزُرْ
وكـأنّ وجهكَ حُمرَةً رِنَةٌ وكأنّ رأســـكَ طائِرٌ أصفَرْ

ينبغي الوقوف على بعض المؤشرات التي تشكّل الظواهر الكلية التي تتألف منها هذه القصيدة ، فالبنيات الضدية في البيت الأول من القصيدة (نطَقَتْ - لم تجهَرْ ، تَكَلّمَتْ خفيًا - لم تظهَرْ) تتكئ على الفعل الماضي ليجلي بنية خفية ، ويكون دالاً على خفايا يقود المتلقي الى استظهار المسكوت عنه، ليشير الى دلالات ظاهرة تقرُّ بفضيحة المهجو، وينتقل الشاعر الى العطف ثم يردف البيت الثاني بالقسم من أجل اثبات زيف الادّعاء بأصالة النسب المشوّه ، ويُرسّخ لفظ الدال (عِبَرٌ ، أشقر) علامات بائنة الحجة على تيه أصل (ابن الحُباب) الذي يصرّح به الشاعر في البيت الرابع من القصيدة ، ويردف الاستفهام لتنبيه الآخر (ما بالُ ؟) الى ضرورة التمعن بمن يتصل نسبه بالعرب وهم أهل بشرة سمراء كيف يكونوا قد وُلِدَ لهم ابن الحباب شبيه أهل الروم بالشقرة ، اذ شبّهه الشاعر بقوله : (من بني قيصر) ، ليدلُّ على أنّه غير شرعي الولادة ، بل ان انتسابه الى بني أسد سُبّة تؤخذ بها قبيلته عليه ، ليؤكد بذلك حجته : (**أمَا هذا مِنَ المُنكَرْ**) ، وان العلاقة بين الفرد / المهجو والجماعة هي علاقة انفصال وانقطاع تام وفقاً لما يقدمه الشاعر من أدلّة وبراهين بائنة في أبيات قصيدته ، وان ضعف النسب أكثر ما يؤلم الفرد عند العرب قديماً وحديثاً ، وكيف لشاعر يكون مغموز في نسبه كوالبة بن الحُباب ، وهكذا تكون علاقة الدال الأفقية تتحول من هجاء شخصي الى هجاء قبلي يشمل أفراد قبيلة ابنُ الحباب جميعهم .

وقوله : أبي العتاهية ، 1986 : 282

تزيدُهُ الأيـامُ ان أقبَلَتْ شِدّةَ خَوْفٍ لتَصاريفِها
كأنّها في حالِ اسْعافِها تُسْمِعُهُ أوْقاتَ تَخويفِها

يظهر الدال في ضمير الغائب (الهاء) في الفعل (تزيدُهُ) حالة التناقض عند الشاعر بين الجسد الذي يقبل على اللّذات حينما تُقبل عليه الدنيا بهارجها ، وبين الروح المنشغلة بالخوف لملاقاة الله تعالى في ما سيكون بعد الموت .

أظهر النص كيف يشتغل أبو العتاهية على طُرق دوال متقابلة تتوزع بين ثنائية "الجسد-الروح" ، فالدال (الأيام) لا يُحيل إلى زمن مجرد، وإنما إلى قوة ضاغطة تستهلك عمر الإنسان وطاقته، بينما يقابلها دال آخر هو (الاستفاقة) الذي يُشير إلى لحظة وعي روحي تنبثق من داخل المعاناة.

الخاتمة والنتائج:

بعد مسيرة حافلة في خيالات الدال والمدلول عند الشاعر أبي العتاهية، حيث يكشف لنا أنّ هذا الشاعر لم يكن انعكاس لعصره فقط ، وإنّما كان صوتًا بارزًا يتجاوز حدود اللحظة ؛ ليؤسس لنا في الذاكرة الشعرية سمات خطاب جديد يخلط ما بين وعظ و رؤية فلسفية .

وإنّ جدلية الدال والمدلول في شعره ليس بناء لغويا وحسب ، بل نزاع إنساني بين (فقر وغنى ، وحياة وفناء، ودنيا عابرة وآخرة باقية).

1- أنّ العلاقة الاعتباطية بين الاثنين (الدال والمدلول) اعتباطية غير سببية ، وتنشأ منها علاقة عكسية ، اذ قد نجد أن الدال له مدلولات عديدة تنشط في ذهن المتلقي ، وقد يكون الدال متعدد الى أكثر من دال واحد الا أنّ المدلول له صورة واحدة المعنى .
2- يتحدد الدال والمدلول من المفردة والجملة في النص من خلال علاقة كل منهما مع العناصر الأخرى عبر ثنائيات تحدد النظام العام لتلك العلاقات (العلامات) .
3- اتضح أنّ أبا العتاهية قد تجاوز حدود الزهد التقليدي إلى غمار شعري ازدحمت فيه الدوال؛ ليشكّل خطابًا يتداخل فيه البعد الديني بالبعد الفلسفي .
4- أكد الاستقراء أنّ الشاعر استطاع عبر البنية الثنائية (الدال، والمدلول) أن يمنح قصيدته حيوية دائمة تجعلها قابلة للتفسير المستحدث في ضوء المناهج النقدية الحديثة .

المصادر والمراجع :

1- ساخروفا ، ت، أ ، (1984 م) ، من فلسفة الوجود الى البنيوية دراسة نقدية للاتجاهات الرئيسة : ترجمة : د. أحمد برقاوي ، ط1 ، دار المسيرة ، بيروت - لبنان .
2- جاكسون ، ليونارد ، (2014 م) ، بؤس البنيوية ، ترجمة : ثائر ديب ، المركز القومي للترجمة ، ط1 ، القاهرة – مصر .
3- جعفر ، عبد الوهاب ، (1980 م) ، البنيوية في الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها ، دار المعارف ، الاسكندرية ، القاهرة .

4- نهر ، د. هادي ، (2007 م) ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي تقديم : د. علي الحمد ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد – الأردن .
5- الحباشة ، صابر ، (2013 م) ، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب (مقاربات عرفانية تداولية) ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن .
6- بياجيه ، جان : (1985 م) ، البنيوية : جان ، ترجمة : عارف منيمنة – د. بشير أوبري ، منشورات عويدات ، ط 4 ، بيروت – لبنان .
7- السامرائي ، د. غازي فيصل مهدي ، (1971 م) ، ثنائية اللفظ والمعنى في الدَّرس اللساني الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
8- اسكندر: د. يوسف ، (2008 م) ، اتجاهات الشعرية الحديثة (الأصول والمقولات) ، دار الكتب العلمية .
9- سوسير ، فردينان دي (2000 م) ، (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) : جوناثان كلر ، ترجمة : د. عزّ الدين اسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، ط1 ، القاهرة – مصر .
10- الغذامي ، د. عبدالله محمد ، (1998 م) ، الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر) ، ط 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
11- أبو الهيجاء ، عطية أحمد ، (2010 م) ، معنى المعنى عند عبدالقاهر الجرجاني (بين النظرية والتطبيق) ، دار الخليج .
12- هوكز ، ترنس ، (1986 م) ، البنيوية وعلم الاشارة ، ترجمة : مجيد الماشطة ، مراجعة ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، بغداد – العراق.
13- أبو العتاهية ، ديوان : (1986 م) ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان .
14- خليل ، اسماعيل و محمد ، عمر ، الثنائيات الضدية في زهديات أبي العتاهية (بحث) ، مجلة التربية للعلوم الانسانية ، جامعة الموصل ، المجلد 6 ، العدد 23 ، 2026 .

Sources and references

1- Sakhrova, T, A, (1984 AD), From the Philosophy of Existence to Structuralism: A Critical Study of the Main Trends: Translated by: Dr. Ahmed Barqawi, 1st edition, Dar Al-Masira, Beirut – Lebanon .

2-Jackson, Leonard, (2014), The Poverty of Structuralism, translated by Thaer Deeb, National Center for Translation, 1st edition, Cairo, Egypt.

3- Jaafar, Abdul Wahab, (1980 AD), Structuralism in Anthropology and Sartre's position on it, Dar Al-Maaref, Alexandria, Cairo.

4- Nahr, Dr. Hadi, (2007 AD), Applied Semantics in the Arab Heritage, Introduction by: Dr. Ali Al-Hamad, 1st Edition, Dar Al-Amal for Publishing and Distribution, Irbid - Jordan

5- Al-Habasha, Saber, (2013 AD), Questions of Semantics and Pragmatics of Discourse (Cognitive Pragmatic Approaches), Dar Zahran for Publishing and Distribution, Amman - Jordan.

6- Piaget, Jean: (1985 AD), Structuralism: Jean, translated by: Aref Mneimneh - Dr. Bashir Aubry, Oweidat Publications, 4th edition, Beirut - Lebanon.

7- Al-Samarrai, Dr. Ghazi Faisal Mahdi, (1971 AD), The duality of word and meaning in modern linguistic studies, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut - Lebanon.

8- Iskandar: Dr. Youssef, (2008 AD), Trends in Modern Poetics (Origins and Categories), Scientific Book House.

9- Saussure, Ferdinand de (2000 AD), (The Origins of Modern Linguistics and Semiotics): Jonathan Culler, translated by: Dr. Ezz El-Din Ismail, Academic Library, 1st edition, Cairo - Egypt.

10- Al-Ghadhami, Dr. Abdullah Muhammad, (1998 AD), Sin and Atonement from Structuralism to Deconstruction (A Critical Reading of a Contemporary Model), 4th Edition, Egyptian General Book Authority.

11- Abu Al-Haija, Atiya Ahmed, (2010 AD), The Meaning of Meaning according to Abdul Qahir Al-Jurjani (Between Theory and Application), Dar Al-Khaleej.

12- Hookes, Terence, (1986 AD), Structuralism and Semiotics, translated by: Majid Al-Mashta, reviewed by Nasser Halawi, General Cultural Affairs House, 1st edition, Baghdad - Iraq.

13- Abu Al-Atahiyah, Diwan: (1986 AD), Beirut House for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon.

14- Khalil, Ismail and Muhammad, Omar, Antithetical Pairs in the Ascetic Poems of Abu al-Atahiyah (Research), Journal of Education for Human Sciences, University of Mosul, Volume6, number23 ,2026.

Abu al-Atahiyahs poetry between signifier and signified

(a structural study)

Lect .Karrar Abdul-Ilah Abdul-Kadhim

General Directorate of Education in Najaf

Ministry of Education

krar65735@gall.comamall.com

Keywords: Structuralism , The signifier and the signified , Arbitrariness

Summary:

The concept of the signifier and the signified originates from structuralism, which seeks to establish an interpretation that examines the relationship between words, objects, and ideas outside the general context. The signifier and the signified together form a cognitive circle that leads to meaning through the gateway of subjective experience, which emerges in the poet as a result of prolonged familiarity with literature and deep engagement with its domains. A poem, therefore, is nothing more than the culmination of the poet's intellectually vibrant thought .The dialectic between the signifier and the signified becomes more powerful and influential on the recipient when the poet's expression is more effective in style. The poetic collection of Abu al-Atahiya is rich in oppositional binaries that entice the reader to delve deeply into his literary system in order to facilitate the understanding of certain coherent meanings embedded within his poetry .